محمد الهجابي

مثل سرير من ياردات باردة

نصوص نثرية

2013

مركز الصداقة الثقافي
ابتعِد قليلاً كي أتنفَّسَك.
اقترِب أكثر كي تَحْيَا فيك أورَدتي.

مقطع من قصيدة: "أحبَني أكثر بعد المَرْئِيَّة" للشاعِرة المغربية سعيدة ناجِي.
فهرست

_ قدمٌ وكنوز، وأشياءٌ أخرى ........................................... ۴
_ رجع .......................................................................... ۶
_ شواردُ الآيّام ................................................................. ۱۰
_ صفقتُ الباب خلفي ......................................................... ۱۴
_ وهذا القماشُ، ماذا دهاه؟ ........................................... ۱۶
_ حزٌ، هذا الليل ................................................................. ۲۱
_ مغارةُ الروح ................................................................. ۲۳
_ مدحُ الكف ................................................................. ۲۷
_ أجسد عند الوصيد، هناك؟ ......................................... ۳۱
_ إحالات ................................................................. ۳۴
_ ذئب لا يخشى حياة الفضاء! ........................................... ۳۷
_ رصاص ................................................................. ۴۰
_ وقائع للحفظ، وأخرى للإهمال ......................................... ۴۲
_ الغيابُ السلس ................................................................. ۴۶
_ دليلُ الحروف ................................................................. ۵۰
قدمٌ وكؤوسٌ، وأشياءٌ أخرى!

تنبتُ هذه الكؤوسُ على جنبات الغدير،
ويرهُر الماءُ في أغوارها.
وتنسبُ هذه الأصابع إلى يدٍ من رمادٍ.
وعلى شربة كأسٍ انلقتُ الحناء،
وأضحت الأصابع كفراعات تسويت على عجل،
ثمّ انفلعت الكؤوس من تلقائها.
ينصرفُ طفلٌ بين فجوات الشّظي والفلقات،
يجرّ قدماً من مطاطٍ.
لكم تحتاجُ هذه العصافير إلى تغاريد صادحة،
للكي تؤوب إلى أعشاشها!
ولعل الصقّيع الذي فّلّع الكؤوس هذه، فانشالت دون التواء نحو مقام
التّخطّع، سيُعيدُ من قيمة التّداول.
وها الّزّادُ ينضو ما علق بالقدم من زفرات.
لرّتّما ارتجّت مزالجٌ من دون أبواها.
وانساح ذاك الرّذاذُ ليذروم ما تبقى من وحشات الصقلي في الأجواء على مرآى الطفل ذي القدم الطاطِ.

هذه الأعشاشُ نعشقها بغير فراحها.

ولم نفعل؟

كم من مسافة يلزم أن تستغرق حلمك الرمادي؟ ستلهو الفراخ عند العتبات المرصّعة بآثار قدم صغيرة، تكونُ نتوءاً أو تكونُ علامةً عن أحوال جارية، وأشياء مهملة، هناك في الهامشِ، أو هناك فقط.

وها من ثلم في الجدار، جاء الخبر: إنّ كؤوساً أخرى قد نبتت على جنبات ذاك الغدير، وغاببِ القدمُ.

1997
رجعٌ

تتساقطُ وريقاتُ المياة في مغابن الذاكرة؛
كما تتساقطُ نشامْ الماء فوق الغايض.
عمِرت كثيراً هذه الذاكرة، حيّّ غيّبت التخوم،
وقلباً جادت،
وعلَمَت أن أنغرت مثل جلد زنخ،
ثمّ أنتنت.
وها أنت، وقد شئت أن تغرق في خدرِ الوقت طويلاً،
حدّ التماهي،
وحدّ الحلول,
وشئت أن تجعل نجمك يهتدي بنجوم يُسراك,
لا يُنامك.
وآمنت، ووفيت.
وخادنت، وعاهدت.
وأما أفلحت في هذا,
وما أُنصِفَتَ في ذاك.
لمَّ تُحَسِّب للتقسيط في كلّ قسمةٍ،
لمَّ تُحَسِّب.
ليس هذا ديدنك.
الإجمال لا التقسيط، تقول.
بل، ولا الإجمال حتىّ.
لمَّ تُحَسِّب.
كنتَ الحاملٍ،
وكنتَ المصريمٍ.
لمَّ تَرِحَم فيك تداول المقامات،
ولا ترادر الأحوال. 
وبعد حين، ها رواضُ صدرك مشرعة على الأمداء،
من جديد.
أنت في الهنا،
وفي الهناء.
وأنت في القريب،
وفي البعيد.
هذا اليدان توزّعان الإلماعات.
وحيثما جنحت رياح الأعماق المدوّية جميعُها،
تساقط وريقات المتون كلّما انساحت قدماك في خشيف الطريق.
تعبر هذا الرصيف وحيداً، لا يتبعك غير شواظ حريق.
تصبح السمع لعويل رياح الأعماق، ولا تصيحه للشواظ، فلا تقبض،
في الحالتين معاً، سوى على بياض يغزو الفودن،
وقنّة لا تني تتصحر،
وتفجر.
رويداً رويداً، يكثسحك ما فضِّل من الآيات،
أنت العنيد.
قد ينتهي هذا الطريق سريعاً،
ولما تكتمل الخطوة الأخيرة فوق الرصيف العتيق.
منذ الذي، يا ترى، يشلُّع مريُّعاته، دفعةٌ واحدة، وبالنيابة، ويفتّتها إلى ذرات غبار،
كي بماءّها الوارف تستعيد؟
قبل أن ينفثّ الزمان مكتونه، ويوثِّق،
قبل أن يرتد ال الوحش ويضِّ دجله، وتستوفيّ الحلقَة مدارها الخارق.
قبل أن تزحي منك الأنفاس، وتفتّهي إلى خوافيك.
قبل أن تطرق دخيلتك طواحي الأنواء.
قبل أن يعشى العمة البصر، وما تبقى من وميض.
قبل أن تدهمك جحافل الجنون، فتفقد البوصلة،
وتضيسي كالشريدة.
وأنت لا تريد.
لا تريد.
تسقط وريقات الورد،
واحدةً واحدَةً، من ذاكرة لم تعد تتحمل موتاً بطيئاً، ثقيلاً،
ولا دماً صار مختراً في الورد.

٢٠٠٢
شواردُ الأيّام

على الأرجح، سيجعلُ من شوارده قلاداتٍ،
هذَه المرّة،
فقط هذه المرّة،
حولَّ نخر موجاتٍ،
لا تأتي سوى لتنسحب على الفور.
موجةً تفترشُ إثرٍ موجةً.
يحضرُ بينهما بدون استئذان،
ومن غير صوار،
ولا أشرعة،
ولا دقّة قيادة،
ولا جارية سبيّة من العلوي الرومان،
تتناطحُ الموجتانَ بِسبّبِها،
فِيما هو بينهما، يستخذي صاغرًا،
ولا يستودُّفهما المعروفَ.
ثمّ، بعدَ حين، يمضي سادراً في مداه،
أو في شِناره.
ولا تكفيه الشهادةُ، يقولُ.
لا تكفيه، فيعلنُ موته. يقولُ:
في سواد الوتِ بياضٌ،
وبيْن الحدّين ألوانٌ للحضور،
وأخرى للغياب.
قرينُ هو، في تهويل هذا السراب.
يقولُ: أنا الأغبى من أن أقتنصَ شريدةً تفَكّكُ شفرة حال، أو
تقيمُ الأّودَ بِين لغتيْن،
أو تناجزُ بِجَزَ الأُجاج.
فليسَ له، بعد الآن،
بعد اليوم،
غير الباب،
وفي وقعَ غامرٍ،
ينوسُ بين الجولتيين،
لا يكفيه الرقصُ على حبلٍ واحدٍ،
أو ما بين الحبلين,
هيهاتٌ،
فليس له سوى الاحتمال بمتاهة من ألوان،
لعله من كوامنها يصنع أنشوطة من مسديل،
تنفع لضنك الأيام،
حين تخلو مخلاته من ميرة،
وركوثه من ماءٍ,
ولا يبقى غير يبас في اللسان،
وحولٍ،
يا لشقائه،
في الهور المديد للخطاب.
ويقول: على هذه الأنفاس ألا تقلّم شعيرات الريح،
ولترك إيقاعها يهبط، ويسعد،
كترانيم الأقواس،
بما يكفي،
كي يجر طائر الدواخل،
إلى البعيد البعيد.
لا يهمه إن بقي الطائر
من غيّر أوبة إلى وكره,
إذا ما حلّ المساء.
لا يهمه إن تعطّل الرجع،
لا يرغب فيه أصلاً,
وإن أُغلقت خطوط التماس،
أو أغلقت المنافذ دونه،
ودون غيره كذلك.
لكن يهمه الساعة، أن يستنفر بمساته،
لعلها تستخبر عمن هرب كتلة الأحلام
خارج فراشه،
لترود بما الخزنة العتيده،
في قفص الحمام.

٢٠٠٢
صفَقتُ الباب خَلفي

في المدى،
التافِذةُ المطلَة على الساحة الرحبة مغلقة ما تزال.
وهذه القعدةُ باتت تستنفدُ مخزونها.
وهذا الفنجانُ باردَ;
صار باردَا.
نافذةً واحدةً فقط في خط النظر،
وذهتْ ظلَفي لوح لا تكشفان،
وذهت عيون موصوصة، أفقيّة، متّرادفة، لا تَخرُر.
احترقت السَّهارةُ السابعة حَد الفؤامة،
ثمّ احترقتُ الفؤامة،
واحترقت الّدخيلةُ.
بين القعدة والتافِذة انتظارٌ،
وساحة للعبور،
وكلبان ضالان،
وخطِّ، بلا عِدد، تسرحُ بين حاويات الرّزبالة.
وسيارةً بيضاءً تربضُ في الركن،
سيارةٌ رونو أربعة خيولٍ،
وذات فَرَّر في عَجْلة المَؤْخرة،
وشرى قِيقبُ تستاقِطت أوراقِها تقريباً.
فنجان القهوة محمّل لون قعره بالكامل.
وهذه القعدة، في القبالة، لم تعد تؤدّي معنى,
أو تكاذُ تكون.
بعد حين، صققت باب الساحة خلفي،
وأنفسست تتّ متّ معطف الشارع تدهمني أضواءّ نيون.

2004
وهذا القماشُ، ماذا دَهاهُ؟

تضعُ القُماشَ فوق الحامل، وتضعُ حجرةّ دماغها في قيعانٍ بحرها البياسب. ترغبُ في أن تمسدَ بأصابع يدها بياسّ الوجه، وجه القماش.* في الداخل، في الدخيلة، ترى ما لا تراه عينُ الأنابيب، ما لا يلدعُه غلافُ الحمرة، أو يلعَقه لسانُ الفرشاة. ترى بعين الأصابع، إذ تبحثُ عن الارتعاش. في الخارج، خارجها، تلتقطُ أشياءها كيفما اتفق، ثمّ ترتدّ إلى قيعان مائها في الخووس الغطيس.. الغطيس، كأنّا أخفقت في اجتراح أشرعة مركب قراصنتها، وحمل رايته السوداء. سوداءٌ فقط، وترصدُ الرياح. سوداءٌ فقط، ومن غير جمجمة يعمدُها سفانان متقاطعان، أو صمادَة فوق جبين من عاج. سوداءٌ لا تشي بدهاء.
ترغب في أن تسأل رقبة مهات،
من غير أن تخلف قطعة عائقة من أظفار كسوتها،
ومن غير أن تفيض بأصباغها كما يغر تمنع عن الضفتيين،
ومن غير أن تبقى حبيسها مدار بؤرتها،
ومن غير مزيد إشارات.
ترغب في أن تمسد بأصابع يدها وجهم القماش،
كما لم تمسده من قبل،
كما يحضن صدرها المعرش أعداق نبيذ،
أو دوخات نشأ،
أو شذور ذهب،
أو شرفات حانات.
تقبل،
ثم تدبر،
تقرب،
ثم تبتعد.
تجنح ذات اليمين.
وذات الشمال.
تتعقّفُ،
وتمستقيمُ.
تتقفّعُ،
وتمستطيلا.
لا يكفيها ما أنت من حنين.
ها جسدُها يسفخُ حبيبات البلور،
تسرى من القذال إلى الحقو،
ومن الترقوة إلى محراب البطن.
يندفعُ الخيط الرفيع إلى الفالق بين جناحي مملكتها شاحباً، ومتلهفاً،
yندفعُ الخيّط الرفيع إلى الفالق بين جناحيّ مملكتها شاحباً، ومتلهفاً،
ينهشُ الحيود والتقويسات،
الأغوار والقباب والتكرات.
وهذا القماش، ماذا دها؟
كيف تنالُ من جسده المحنّط حركات؟
كيف تنطقُه؟
تحاورهُ،
وقاوشُه،
وتمستنفجهُ،
وتروض،
وكيف يستطيع، ويستجيب للسؤال؟
محال، محال.
يعوز تهافت الأصابع الراعفة،
بوابات الحدائق،
شهقة الدهاليز المعتقة بالوجع،
نشيد الفلوات،
عوائل الديناجير،
رعونة الخارج.
تعوز الخطوة المتزدفة، الراغبة،
الأثر اللافلح،
وحبشة غريبة الناري في ليل فارغ وأدرد،
هيكلا روح،
ماء المعمودية.
يعوز ما لا يعوز الوسائط والمستوى،
ما يتألّف منزيف المراوح،
صهيل الحلبات.
ووقر الكوى،
وما كان،
وما هو آت.
وهذا القماشُ، بعدَ الحاصل، ماذا دهاه؟

٢٠٠٧
قميءً، هذا الليل

ليلٌ يهمِّم يعتمد في رحمٍ من الصّنوج.
ظلمةٌ غماء تقلّم أظافر الانتظار.
لعلّ في وهدة الرواج ماْ يثير الفرائض،
فترتد الأشياء الداخلة إلى المحاجر قبل أن
تصطلم بنار الحرقة اللاذعة.
تخذ لك وقتا من نسغ الجذع هذا،
واستبدل ما تبقّى لك من نثار الصّدا
بحييات النّوبة الرّمادية.
وتخذ لك من فقاعات كلامي آياتٌ لدثارك.
قد يستوفز فيك الصّمت الكابس لحظةٍ عبور.
فهل تأخذك ناصية الدّرب حيث لا تكون،
أو تكون مقاماً لأنفه الأشياء،
أو لا تكون غير شفيف بصرٍ أرقط؟
قميءً، هذا الليل.
وهذا النهار لم يسفر بعد،
وهذا الانتظار كاللعنة، طويل.

٢٠٠٩
مغارة الروح

(1)

اقتنفي سر الهيكل،
إذ يركب العزيز عائداً،
هناك إلى مغارة الروح.
من يجلب رياش الحدب،
من ينضّده،
من يبني الصروح؟
لكان الهيكل هو،
لما هوى المعنى،
فارتد السر، من جديد، إلى مقره الأثيم.
يا لهول سراديبه،
عتمته الخجلي،
سلمه السفلي.
هرمه المقلوب!

(٢)
أنا الدّاخِلُ من غيِّرِ طيفٍ،
ثقيل الحَطَو،
أوقَعُ على أدرج السلّم ترددٌ الساِدر،
ارتعاشات الكشْح،
لهاَت الزُّوَرِ،
نفسِي العاِثر.

(٣)
أنا الخارجُ من جَبّة الأعراضِ بلا فَنار،
سوَى من غوايةٍ مُستحكِمةٍ، تَنشدُ ظُلْمَة الظَّلُّمَاتِ، حتَّى تتسّرَ
على شَنارها بذباذب كساء،
لا يَقِي العرَي كَلّه،
ولا يفضَّحُ.
كما الماء، إِذ يهُبُّ مَنْيَهُ إِلَى هُواه.
هَنَاك في مَغارة الرُّوح، أَسمَعُ خَبَطَات الحَطو.
في المنخردر الزهيب،
تطرق حتئها،
جمس ممعبٍ،
لا يبوا.
ولا تفعل سوى أخما تستعمل اللقيا,
وتشتدعي ذيل السللم كيً يفي بختمي،
وسللم السر إلى مقام الأولين.
لن أجلبي آثار السابلة التي عبرت من هنا،
منذ آلاف السنين،
فقط، سأعيد الكرة كرات،
في كل خطوة،
دون أن أحسني من الفاتحين.
(4)
سرى مرقوم بين العينين،
هنا، فوق الجبين،
سرى
أنا،
ثالث العيون،
لا يكاد يبين.

٢٠٠٩
مديح الكف

1

ليس لي من مكان حميم أخلّد إليه
سوى حجمٍ كفٍّ،
أظل أدوّزن خطوطه
على إيقاعات الريح.
ليس لي سوى هذه الكف حضناً، الآن،
كي أستريح.

مدرج نمل عابر أقيمه عند المساء،
قبل أن أرجح باب الرؤيا دوني،
وأحتيمي بالعبارة،
واسجاوات لنجم لا يبني يغزل الليل إلى المطلع.

ليت كف اليد تطول حجمي،
ليت الحجم يجمّعي.
يظلُّ يُشعلُ ذبالة ظلّي، 
متي إلتاثَ عليَّ أمري 
وشَالَ ميزان النَّبيح والحسامة. 

(٢) 

الإيماةاتُ التي تَدحرَحت على المدرج، من قبَلٍ، لم تَقِمْ معنى، 
لأن الأصابع بقيت غافيةً. 
ولأنّ العناصرُ رُسَت في القاع، 
ولم تَسْمُكَ ثُمّ كَانَ متوقِعاً. 
وإِنّ الكفَّ، التي بِنَحت عن أَرسانٍ، وعن طوايةٍ، لأقامةً 
إجباريةً، 
أو لِمنفِى مأهولٍ بحروفٍ مغتمَّةٍ، 
في مَدان ما بَين القوسيين، 
وما بينهما من تحايل ضاوية، 
لا تقضي وكِداً. 
ولأنّ الكفَّ، 
تلكَ الكفُّ.
العُدَت بصوتٍ مُصنمتٍ،
لا يردُّ رداً.
(3)
الكُفُّ التي آويني،
الكفُّ هذه، صغيرة.
ولعلِّكم، هي خلاصةٌ شرقيّة،
ودون الخادرة.
الكفُّ هذه,
بجمالِ اليرقاتات توجُّ
كَلَّما دَبَّ في خطوطها نبضُ الدَّم،
وحَسُّ المكابرة.
(4)
كَفْي أنا،
كَفْي هُذه،
علَّمتني كيف أصنع طيَّارة ورق، وأمرُ بما خلاف التيار، ثمَّ علَّمتني كيف أحرق دم الأصابع، كيف أحفظ التناسب بين حرف الاشتعال وحرف الانطفاء، تماماً مثل تناسب المرابع.

(5)

ليس لي من سكَّن
أنصَب عليه متكئي،
وقد اجتبت مطاحي القديمة،
 سوى حجم هذه الكف الصغيرة؟
الحجم البسط هذا،
هو ما تبقى لي
من خارطة الوطن.
أجَسدٌ عندَ الوصيدِ، هناكَ؟
وقتٌ من هباء الفلوات ينغلُ في مَسَام الجسدِ.
وقليلٌ من الانتظار،
ثمّ تتلاشى هيئةُ الجسدِ المهجوء,
منذُ أن تصادت صرختُه الأولى مع ماءَ العقِن.
منّ الماءِ إلى الماء،
لمّ يتّنح حوضُ الماءِ ذاكّ بصفاء العين،
ولا ذلك،
لمّ يَبَعِقَ القماطٌ الرؤوم.
ومن ماء الرحم إلى ماء الكفن،
ماءٌ عطنٌ، فحسبُ.
وبينّ كفّ أولى، وبينّ كفّ ثانية،
بينّ اليمينِ.
وبين الشمال،
لم تكن تلك الولادة مقرونة بدرية صاحبة اليد الحرون،
حتى يصدع الخدع.
وها قليل من الانتظار،
وقليل منه كذلك،
وقليل ثالثة،
ثم يهجع الجسد عند وصيد الجبابة على مهل،
كأمان يرقد من تعب،
كأمان من علاماته كلهبا ينسحب،
كأمان يستعجل الرقاد الوطيد،
حالة من الانتشاء،
عصبة عين الفهم،
أو غاية من الاشتهاء،
لاستغراقه،
إذ استمرا وجع حنينه إلى البدايات،
يوم لم تكن،
ولم يكن،
ولم تكن.
لا الصورة صار،
ولا جسدها.
لم يعد ثمة مكان لتعليق الحكم الصادر،
بعد الآن،
فالحكم قضى،
في عروة الشهيق وعروة الزفير.
في خط التلكؤ وخط الاندفاع،
قضى الحكم.
ولا شيء لم يعد حوله أيضاً،
هو وحدته هاجع هناك في المحقق،
ولا شيء غيره،
سوى هذا الفلاع..
إحالاتٍ

تأخذُك المسافاتُ إلى حيّة الهاوية.

الخطوة الوحيدة، الديدة، في المسار، لا تخليق آثاراً لإزياحاتك، ولا ترقم خوفك.

ولكّ أوجاعها المنتشرة.

حتماً، لن تداري ما جنحت به متاهاتٌ ظلّت تشطحُ بما الأوهام، أو الأيام.

وقد ترشحّ بما العبارات.

ولن يسلك بك هذا الشّراع بقاً من أعشاب الدواخل، فلهذه المسافات إشارات لا تستوي على وجه ترده، ولا تستحي لقياس مرغوبي.

عبئاً هذا الإصرار.

خذ من سدوم الطرقات دزينةٌ، على سبيل الاستئناس، بين كفلك، ثمّ انثر وحداتها، إن شئت، على مهلٍ،
واقفَّ ما بينها من تخاريكم، فنترى الصور وزانك من غير حجاب.
لم تضاريسك في إضمامِ واحدة،
واحدة فقط،
وولَّ جهَّة أقاليم الضباب.
ومن غير شمس تبقع الأمد،
هَذِه المَرَّة،
ومن غير سحاب.
وانحت على صفحة السفى أسماءك الأولى،
ثم تضفدع،
أو تخلزن،
أو تنمَّر،
أو تقنذد...
لا يهمَّ.
تليِّن،
أو تحرش..
سيان، الآن.
سيان!
استغور حيواناتك البدائية،
من ذوات الشوامت،
ومن ذوات الأقدام...
معاً، هذه المرة أيضاً.
واستحيِْ،
من يدري؟
لكن اعلم...
وهذه نصيحة فحسب،
عبئاً هذا الإصرار.

۲۰۰۹
ذئبٌ لا يخدشُ حياءَ الفضاءِ

أسفل تلك الشجرة الظليلة،
نائيّ ما انفكَ ينوح،
يشكو للريح غربة العراء.
وفي الجوار، كلبٌ متكوم،
يخضنْ قائمتيْه الأماميِتين.
وهناكَ في الطرف المقابل،
عندَ مفترق الطرق المرتب،
ذئبٌ جاثٍ فوق كُدية.
وثمة أغنامُ تثغوا من تداخلُها تبدو كندفٌ ثلج،
وقد علاها بعضُ سخام.
وتبدو كحقل قطن يتهادى على الجنبين،
وكسكير شطّ به الحال،
فبات لا يعقل مواطن الأقدام.
وتبدو كما لو أنّها جوقةٌ مريدين،
تترنّح لوصلات بالغة النمتهي والشهود،
لكن يعوزها المنشدُ كي يدير الإيقاع.
لم يكن الذئبُ بزائر عابر.
كان محترحاً يعصي الحضور.
ولم تكن الأغامُ الساورةُ لتأبه،
وقد طابت لها النجعة الفسيحة،
وحلا لها نواحُ النَّاي الحزين.
أكثر الذئبُ،
وصَقَن.
وعلى أسلة لسانه، الأسلة الزٌمام، صار يردّدٌ، كما يجب، ترميمات شفيفة الأنغام.
ثمّ صار ينقر بالشواmint، على حدبة الكُدية، نقراتٍ عذبة مثل نقرات رذاذ فوق آوتار، ترتس في الآذان عبر ذبذباتٍ نسائم حانية، فتتمايل لها رؤوس الأغنام.
ويعود الذئب ليمسح القطيع بسابغ النظرات.

وهناك تحت الشجرة، ظل الناي ينوح.

وإذ كان الكلب يعانق نومته الهنيئة، ويتمرؤها، راح الذئب ينزل الكدية بتؤده، دون أن يخدش حياة الفضاء بلفظ ناب، أو بلحن أو بغمز رموح.
رصاصٌ

مساحة الرصاص،
أبخس المعادن،
تتنكر خط النظر.
كأنها هي المدى،
كأنّه ليس ثمة من بعيد غير العماء،
الذي كان من قبل.
هل لي من ذراع،
تحيل نقطة الوصول إلى عبور؟
وأنا مدمم الجسور.
أما الحامل لوته الرحيل،
من عمر وجيل،
cالصليب،
من غير وجهة تذكر.
سوى من تعقّب لرقو النوارس
كُلّما هبّ مع الريح يقيس أجراف الماء،
ثمّ يمضي لا يلوي، مثل نتار هارب، بلا إشمام.
هذا الرصاص،
أنخص المعادن هو،
صار غلاف سماء.
وأنا حاجتي إلى رياح تَعصف بِي،
ثمّ تعفو أثري بالحملة، وبالمرّة،
كما حاجتي إلى هواء.
وقائع للحفظ، وأخرى للإهمال

١ حتّى لا أنسى

يجمال بي أن أتقني ترتيل مزاميري، عند متم الآذان.
لا محل لخطأ في التقدير.
كل نوطة فوق سطرها،
كل سطر على المنوال يقع،
من غير إسراف،
و dönemde جمّ،
و بلا إمعان.
ويلا إمعان.

٢ حتّى أنسى

الأشياء التي حصلت البارحة، دوّنتها في مفكّرتي بالتتابع،
ويقدر من الحذق والتفصيل.
تلك الأشياء الصغيرة، والكبيرة،
أشياءي التافهة إلى غاية القرف،
الأشياء العابرة من غير تأشيرات مستحق للمرور،
وأشياء أخرى حجبتها بضغطته ماكرة من السبابة اليسرى.

الكلمات التي سمعتها دوّنتها؛

الكلمات القديمة، وتلك التي سمعتها للتو،

الأرقام التي مررت قدم بصري بسرعة مثل سيارة أعدمت الكابحم;

أرقام الهاتف والحوانيت وأعياد ميلاد الأصدقاء، وباقي المناسبات.

أشياءي جمعها دوّنتها بجدية،

ثم رحت أستعرضها الواحدة تلو الأخرى.

أشياءي هذه كلها محوتها،

قبل قليل فقط،

بالحرص نفسه،

وبالتتابع عينه.

حتى لا أتذكر

ضمنت الحقيبة قليلاً من حوائجتي،

ما أحتاجه بالضبط.

وضمنت الجيب الصغير للسروال جينز الأزرق ما تقتنيته من أوراق

 لدى المصرف القريب.

ما يفي بالبلغة تحديداً.
ضبطتْ عقربيْ ساعة المعصم،
ونظرتْ بشزرٍ إلى ديك ساعة الصوان.
لم يحر الديكُ أبداً،
لم يلتفت حتّى،
استمرّ، كعادته، ينقرُ حباتٍ لا تتتحرّك.
تحركتْ أنا جهة المحطة البعيدة.
رميتُ القرصم الأبيض إلى فوق.
دار القرصم حول نفسه دوراتٍ،
ثمّ عاد ليستقر فوق الكفّ،
تماماً فوقها.
تاركَتُ القرصم الأبيض في إضمامة الكفّ،
وحملتُ الحقيبة الجلديّة الأسودِ في اتجاه شباك الدفع.

4— حتّى أتذكر
ظلّت تنظرُ إليّ، وهي تمضي في تخلف، ثلاثة أرباع الوجه،
ثمّ دارت على محورها نصف دورة،
وسرعان ما دارت بالكامل.
في وقفتها، تثبّتني إلى حدّ نخاع العظم، بعينيّن مشفّرتيّن، وحاجبيّن رقيقين ومرجحين.

تثبّتني طويلاً، تعينني عميقاً، حتّى شفّ متي العظم عن نخاعه، ثمّ ولت ظهرها مباعدةً.

٢٠١٠
الغيابُ السّلسُ

سينتهي هذا الفجُّ عند عطفة المنحدر، لا محالة.
فوق زُبول وهاده تجثو رعشاتٌ،
هي ما تبقّى من طعم كأس الثمالة وثفالها لِيوم البارحة.
ربّا تصيرُ أنساغُ أدبيه، الساعة، أوجار ثعابين،
ولربّا تصيرُ سخّيتان لِحجاب العورة، ليسَ غيرِ.
ولقد كانت محلّ بسطاتِ أعشابٍ للزّينة، ولم تعدل.
آهٍ، كم سيظلّ هذا العمر قصيراً دون وجيب؟
زجاجُ مراياك لا يزال من غير براويز،
ولا أقنعة تستر التماعاتِ المِجلة.
ولا خارجٌ... المِجلِّه له،
ولا مضمار. 
من يمسحُ نواس العكاشات عنه؟
وهذا السحاب؟
زجاجٌ بلا لونٍ،
ولا طيفٌ في الورِزان،
ولا في الخلف أو الأمام.

كما العاهراتُ اللائي استغرقننا، لكمْ مِزة، بلا مساحيق.
وارتشفتَا بالِسَّبب، ثمّ رَحَن يَعُدُّن الأعِدة للرشفات الباقيات.

وهذا الصفُ طويلٌ، طويل.
سينتهي هذا الفجُ قبل أن يطرَفَ منكَ جفنُ الانتظار.
سيظلُ شتاتك يشكو منّ البوح المصمت لعناصره الأولى المفتقة.

ولن يرحمَ ضعفكم هذا البوح، مع ذلك.
لن يرحمه سوى انطفاؤك.

قدّر جذعك أن يتسكعَ بِجذورِ انغمارت في ضباب.
وصربك، الآن، يضطجع عند التخوم؛ التخومٌ بالضبط.

انطفاؤك ذهابٌ للأثر،
أو محض سرابٌ يستحيل.

وأنت تحترزُ المسافات،
وتختزل بالقدر نفسك،
وبالصواب نفسك.

لعلّ فسالة الجسدِ، بعد وقتٍ، تدروها أيادي الأقاليم الأربعة مناكَ.
ولعلّك تستريح.
آنّ لك أن تستريحِ بلا نذيرِ،
ومن غير فزاعاتِ تقضّ غفوتكُ المديدةِ، في اللاحّقِ.
حاجتُك إلى تطويقِ الغيابِ، حتى يكون سلساً.
ولن يشكو شتاتُك، بعدَه، من بُوحِ مرتقبٍ، واضحِ.
لا شيء حقاً سوى العماء.
لا سجاّفة تسطوُها.
لا شيء إلاّ هذا الجوفُ الديماسي.
سكونُ بالقوّة من جديدِ.
سكونُ قابلاً لهيئات بلا حصر، تماماً مثلما كنت من قبل;
و كنت نقطةً،
و كنت حرفًا بين التشكّل واللاتشكّل،
و كنت كلمةً لم تستوفي تكوينها الأورفيوسي بعدَ.
هَب أتّلك الحاضرُ إلى حين.
هَب أنّ عقراً هنوك غفلا عنكّ تمامًا،
و لم تشذّ عن سيرة جنين،
كان في سبيله إلى التخلّق،
كان.
ثمّ هب أنّ الصرخة، هي صرختُك لا مشاحة، دوّت في العنانِ، دون سابق إشعارٍ معقولٍ، ثمّ هوّت على عجلٍ عند الذروة، كما سقط المتاع، بعد توالي سنين، فلا شيءٌ آخر هذا الجوف الديُاسي يكون سبيلاً لكم نحو الانسحاب.

يا صاحبي،
َّبُسّه كتاباً منَ العمرِ هُوّ،
ْبُسّ صفحاتٍ رُقمت بالنيابة،
ْبُسّ هذا الكتاب.
دليل الحروف

١ - حروف الوجه
كل وجه بحروفه تجلل،
كذا!
ولكل حرف في الصفحة منزلة.
لا تشي الحروف بغير ما تسخو به،
متي هب الحراس يعلنون عن إغلاق الأبواب.
الحروف التي ظلّت متسكّعة في الهوامش،
نامت تحت الآباض الزخة.
الحروف التي ولجت المعابد خرجت بخواتم تتبعها الزغاريد،
ثم هاجرت على الفور إلى أحضان جديدة.
الحروف التي ضاجعت تيار الوادي حملها
الماء الجارف صوب حطّها بقاع البحر.
الحروف التي ضيّعت البدايات انتهت إلى غياب.
الحروف التي امتهنت حرفًا «الفيدور» بالبارات، ارتفع منهم نجمها، فحلت، بمقتضى مرسم حكومي، في طاقم حفر الحاكم، وبافي أفراد البطانة.

وحذّها الحروف التي استقلت أجنحة السنونوات حلقت فوق البنایات، ثم حطت على درايين سلم يكسوه نبات لباباً.

الحروف القائمة بالخدمة أسرت لرئيسي شرطة الأخلاق بأهُما حلبى من سيفاح، والفاعل حضر كل أدوات العمل المرعبة سوى من قلم، والقلم في صندوق، والصندوق في آخر مثله، والآخر بلا ليم، لكنه يوجد أسفل فراش بقصر الحاكم، ويعاني من مرض الفالج.

باقي حروف صفحة الوجه تجمعت عند قبوة الفم، ثم وجهت كالفراشات.
تمضي كل الحروف التي علقت برموش الأصابع
في دورتيّ.
مقدار قدم واحدة تسلك،
ثمّ تعودُ الهويني
تزرّؤ كما الرياح العطشى،
وكما صمت القبور تضحّ.
وفي ساعة من زمنٍ لا يحُتسب،
تحنّ هذه الجذاذات إلى دفتين.

تقول الحكاية:
ثمّة شيخ على قارعة الطريق، يقعي بين حطين،
ينكث الأرض بقضيب من قصب.
وليس هناك، ما عداه، غير أنين الفلاة،
ويريح من جميعه سواد قد وقبل.
وثمة كتاب كالرقيم،
وثوي تومى.
وجِدّة، وأوان.
تعب الشيخ،
أو، تعب،
فهل يحصل البرهان؟
.. يحصل البرهان!

2010
كلّي أنّا،
كلّي هذه،
علّمني كيف أصنع طيّارة ورق،
وأرقُ بما خلاف التنار.
كي تترّيغ عرشّ العنق.
ثمّ علّمني كيف أحترق دم الأصابع
كيمأ أحفظ التناسب
بين حرف الاشتعال
وحروف الانطفاء،
تمامًا مثل تناسب المرابع.

المؤلف:
_ التصوير والخطاب البصري: تجهيد أولي في البنية والقراءة، دار الساحل (الرباط)، 1994
_ بوح القصبة (رواية)، ندا كوم (الرباط)، 2004
_ زمان كأله (رواية)، ندا كوم (الرباط)، 2004
_ موت الفوات (رواية)، أفريقية الشرق (الدار البيضاء)، 2005
_ إناث الدار (رواية)، أفريقية الشرق (الدار البيضاء)، 2011
_ كأنّا غفوون (نصوص قصصية)، المطبعة السريعة (القنيطرة)، 2007
_ كلّ هذا (رواية)، جاهزة للنشر
_ على ما يبدو (نصوص قصصية)، شهر مارس 2013
_ فgün لا يُستَر بطعم (نصوص نثرية)، جاهزة للنشر